ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 09، العدد: 02 (2024) ص: 14 - 26

# الْخِطَابُ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ (عَلَيْهِ السَّلَام) بَيْنَ ضَرُورَةِ التَّصْرِيحِ وَاقْتِضَاءِ التَّلْمِيحِ

# *Discourse in the Story of Yusuf, Peace be upon him, Between the Necessity of Explicitly and the Need to Implicature*

سامية سية*
كلية الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربي. جامعة محمد بوضياف .المسيلة .الجزائر
ص ب 166 اشبيليا، 28000 المسيلة - الجزائر-
samiya.sia@univ-msila.dz

حكيمة بوقرومة
جامعة طاهري محمد -بشار(الجزائر)
bouguerrouma.hakima@univ-bechar.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/10/10
تاريخ القبول:
2024/11/09
تاريخ النشر:
2024/12/16

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ **قصة يوسف**
- ✓ **مقاصد الخطاب**
- ✓ **التّداوليّة**
- ✓ **التّصريح**
- ✓ **التلميح**

الملخص:

تُعنى هذه الدّراسة بمقاربة استراتيجيّ تين من استراتيجيّات الخطاب في القصص القرآنيّ -وتحديدًا في قصّة يوسف عليه السّلام- اعتمادًا على شكل الخطاب الّذي ينتج دلالتين؛ دلالة ظاهرة ودلالة مضمرة.ذلك أنّ الخطاب القرآنيّ في تبليغه للمقاصد يسلك مسلكين مسلك التّصريح؛ الّذي ينتج عنه الخطاب التّصريحيّ الحاملُ للدّلالة في ظاهر اللّفظ والمُبَلِّغُ لمقاصد المخاطِبِ بأسلوبٍ مباشرٍ، ومسلكَ التّلميح المنتج للخطاب التّلميحيّ الّذي تتوارى الدّلالة فيه خلف اللّفظ ولا تُبْلَغُ مقاصدُهُ إلّا بإعمال الذّهن.

وتسعى هذه الدّراسة إلى الوقوف على المسارات الّتي اتّخذها الخطاب في القصّة، ثمّ النّظر في المواضع والدّواعي الّتي أملت على المخاطِبِين ضرورة اعتماد الاستراتيجية التّصريحيّة في إنشاء الخطاب والآليات الموظّفَة في ذلك السّياق، لتقف بعد ذلك على المواضع والدّواعي الّتي اقتضت توظيف الاستراتيجيّة التّلميحيّة والآليات الكاشفة عن مقاصد الخطاب التّلميحيّ.

*Article info*

***Received***
*10/10/2024*
***Accepted***
*09/11/2024*
***Published***
*16/12/2024*

**Keywords:**
- ✓ *The story of Joseph*
- ✓ *The objectives of the*

*Abstract :*

*This study is concerned with searching for discourse strategies in Qur'anic stories - specifically in the story of Joseph, peace be upon him - based on the form of discourse that produces two connotations, an apparent connotation and an implicit connotation. The Qur'anic discourse, in its expression of connotation, takes two paths: the path of declaration, which results in declarative speech that carries the meaning in the apparent meaning of the word. The one who communicates the purposes of the addressee in a direct manner, and the insinuating approach produces the insinuating speech in which the meaning is hidden behind the words and the purposes are not reached except through the use of the mind.*

*This study seeks to identify the paths taken by the dialogue in the story, then look at the positions and reasons that obligated the addressees to adopt the declarative strategy in creating the discourse and the mechanisms that reveal this. It then examines the positions and reasons*

* سامية سية

*that necessitated the use of the allusive strategy and the mechanisms that express the objectives of the allusive discourse.*

*speech*
- ✓ *Pragmatics*
- ✓ *Statement*
- ✓ *Allusion*

## 1. مقدمة

يعتمد المخاطِب في إنتاجه الخطاب الاستراتيجيّةَ المناسبة للسّياق، المبلِّغةَ للمقاصد، والمحقّقة للتّواصل الفعّال بينه وبين المخاطَبين. وتتعدّد الاستراتيجيّات الخطابيّة بناءً على تعدّد معايير تصنيفها؛ وهي ثلاث: معيار العلاقة التّخاطبيّة؛وتنتج عنه استراتيجيّتان، وهما التّضامنيّة والتّوجيهيّة. ومعيار هدف الخطاب الّذي تنتج عنه الاستراتيجيّة الإقناعيّة. أمّا معيار شكل الخطاب فتنتج عنه الاستراتيجيّة التّصريحيّة والاستراتيجيّة التّلميحيّة في الخطاب.

وإذا كانت الاستراتيجيّات الخطابيّة قد تفرقّت في الخطاب البشريّ بتفرّق الدّواعي والسّياقات والأهداف، فإنّها قد اجتمعت في الخطاب الإلهيّ المتمثّل في "القرآن الكريم"، الّذي نزل ليكون الرّسالة الخاتمة والشّريعة المنظِّمة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا . وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(سورة الإسراء. الآيتان: 9، 10)، فالقرآن الكريم بكلّ ما تضمّنه من أساليب خطابيّةٍ مختلفةٍ قد نزل بهدف هداية النّاس للّتي هي أقوم؛ والنّاس في تلقّيهم لمضامينه وتفاعلهم معها على صنفين: متلقٍّ مستجيبٌ فائزٌ بالأجر الكبير، ومتلقٍّ معرضٌ عقابه العذاب الأليم.

في هذا الإطار جاءت هذه الدّراسة الموسومة بـ "الخطاب في قصّة يوسف (عليه السّلام) بين ضرورة التّصريح واقتضاء التّلميح" لتُقارِب تداوليًّا استراتيجيّتين خطابيّتين سلكهما التّنزيل العزيز في تحقيق الهداية عبر تبليغ مقاصد السّورة الكريمة الّتي وردت فيها قصّة يوسف(عليه السّلام).حيث تسعى الدّراسة من خلال هذه المقاربة إلى معالجة إشكاليّة طرق تبليغ المقاصد في السّورة. وقد تفرّعت عن الإشكاليّة الرّئيسة الأسئلة الآتية: ما المواضع الّتي تطلّبت من المتحاورين في القصّة سلوك مسلك التّصريح في الخطاب؟ وبالمقابل ما دوافع أطراف الحوار إلى أن ينحوا منحى التّلميح بدل التّصريح؟ ثم ما الآليات الكاشفة عن الدّلالات المباشرة والدّلالات المتوارية؟

واقتضت الإجابة عن هذه الأسئلة تقسيم الدّراسة إلى ثلاثة محاورَ توزّعت كالآتي:

- المحور الأول: مسارات الحوار في قصّة يوسف (عليه السّلام)
- المحور الثّاني: مسالك التّصريح في الخطاب
- المحور الثالث: مقتضيات التّلميح في الخطاب

## 2.مسارات الحوار في قصّة يوسف (عليه السّلام)

تعدّ القصّة القرآنية وسيلةً من وسائل الدّعوة وأداةً من أدوات التّبليغ، فيها ضربٌ للأمثال بما لحق الأمم السّابقة من عذابٍ جرّاء طغيانهم وكفرهم بالله، وفيها سردٌ لحياة الأنبياء وما جاء في دعوتهم لأقوامهم، فتنوّعت بذلك عناصرها من حيث زمانها ومكانها وشخصياتها وأحداثها، واختلفت مضامين حواراتها باختلاف المقاصد من إيرادها. ونظرًا لِمَا تضطلع به من دورٍ دعويٍّ، فقد حملت إحدى سور القرآن الكريم تسمية (سورة القَصَص)، حتّى أنّ إحدى قَصَص القرآن – وهي قصّة يوسف (عليه السّلام) – قد وُصِفت بـ "أحسن القَصَصِ" في قول الله عزّ وجلّ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(سورة يوسف: الآية 3)، ووصف قصّة يوسف (عليه السّلام) بأنّها "أحسن القصص" ليس القصد منه أنّ قصّة يوسف (عليه السّلام) أحسن قَصَص القرآن، فكلّ قصّةٍ في القرآن هي أحسن القَصَص في بابها، وإنّما القصد من هذا الوصف عقد المفاضلة بين

القصّة في القرآن والقصّة في غير القرآن، وعليه؛ فإنّ كلّ قصّةٍ في القرآن هي أحسن من كل ما يقصّه القاصّ في غير القرآن (ينظر، ابن عاشور، 1984. ص: 203، 204).

إنّ القصّة القرآنيّة من حيث هي «بعثٌ لآثارٍ مضت، وقصٌّ لأخبارٍ ذهبت»(الخطيب، 1975. ص: 81)لَتَصِلُ الماضي بالحاضر وتستشرف المستقبل بأسلوبٍ معجَزٍ شكّلته عدّة عناصر – سبقت الإشارة إليها – وفي مقدّمتها "الحوار"؛ الّذي يحوز المركزيّة في القصّة القرآنية لأنّه «يبعث الحياة والحركة في الحدث، ويؤدّي إلى الهدف، ويظهر المغزى، ويكشف عن مدى الصّراع في المواقف المتغايرة، [.....]. كما أنّه يترجم عن الشّخصية، ويستبطن انفعالاتها وأزماتها، ويضعها في إطارٍ نفسيٍّ معيّن، ويزجّ بالقارئ في تجربة القصّة ليعيشها، وتنقله من عالمه إلى عالمها»(نقرة، 1971. ص: 414)، ليحقّق الحوار بكلّ ذلك فعلين تواصليين أوّلهما داخل نصّي؛ وهو الواقع بين شخصيات القصّة، وثانيهما خارج نصّي، وهو النّاتج عن تفاعل المتلقّي مع النّصّ.

وباعتبار أنّ القرآن الكريم «يذهب بالأسلوب الحواريّ كلّ مذهبٍ، ويلوّنه ألوانًا مختلفةً، حسب مقتضى الحال، وداعية المقام» (الخطيب، 1975. ص: 124)فإنّ التّواصل النّاتج عن الحوار بين الشّخصيات في القصّة القرآنيّة يتّخذ مساراتٍ مختلفةٍ تتعدّد فيها الأطراف المتحاورة وتتناوب على الإرسال والاستقبال؛ فالمرسِل في خطابٍ متلقٍّ في خطابٍ آخر، والمتلقّي في خطابٍ مرسلٌ في آخر، والمرسِل في خطابٍ هو نفسه المتلقّي في ذلك الخطاب.وتتمّ الأفعال التّواصلية عبر هذه المسارات لتحقيق «وحدة الموضوع أو الهدف»(النّحلاوي، 2010. ص: 6)من الحوار.

ونظرًا للأهمّية الّتي يحظى بها الحوار في القصّة القرآنيّة، لم يهمل السّرد القرآنيّ توظيفه في القصص القرآني، ومنها قصّة يوسف (عليه السّلام) الّتي سجّل فيها مركزية حضور، حيث تنوّعت مشاهدها، وتعدّدت شخصياتها، ممّا سمح بِسَلْكِ الحوار بين هذه الشّخصيات لمساراتٍ مختلفةٍ تعدّدت فيها أقطاب الإرسال والاستقبال للخطاب.

### 1.2 مسارات الحوار في مرحلة الطّفولة

عرض السّرد القرآنيّ قصّة يوسف عليه السّلام انطلاقًا من مرحلة الطّفولة، وابتدأها بحوارٍ بين الابن يوسف والأب يعقوب (عليهما السّلام)، حيث كان يوسف مرسل الخطاب المتضمّن للرّؤيا ويعقوب المتلقّي لذلك الخطاب، ليقوم يعقوب بعد التّلقي بتفعيل سلطته في النّهي حين أرسل ليوسف خطابًا تضمّن المنع من قصّ الرّؤيا على الإخوة. ويلاحظ أنّ النّهي المرسل من طرف يعقوب (عليه السّلام) قد كان له الأثر في انعقاد الحوار، ذلك أنّ سلطة الأب في توجيه النّهي استدعت بالضّرورة تلقّي يوسف للخطاب والامتثال له دون الرّدّ بالكلام. لتنقطع بذلك استمراريّة الإرسال والاستقبال في هذا الحوار القصير.

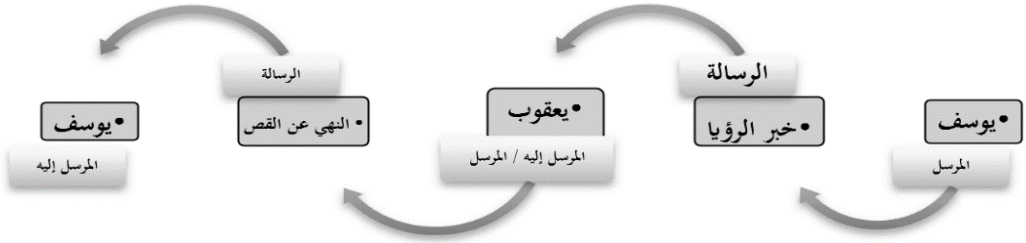


**الشّكل 1: مخطّط يوضّح مسار الحوار المتعلّق بالرّؤيا بين يوسف ويعقوب (عليهما السّلام)**

وبعد عرض السّرد القرآني للحوار المتعلّق بالرّؤيا الّذي دار بين يوسف وأبيه(عليهما السّلام)، انتقل إلى عرض حوارٍ ثانٍ تغيّرت فيه أطراف الخطاب، حيث أدّى فيه إخوة يوسف دوري الإرسال والاستقبال في آن واحد، ليتدخّل أحدهم في آخر ما دار بينهم من الخطاب الكيديّ،فكان هو قطب الإرسال وهم قطب الاستقبال .

وأول ما ابتدأ به الإخوة الحوار بينهم هو التّصريح بالسّبب الدّاعي إلى انعقاد الاجتماع؛ حيث أجمعوا على أنّ أباهم يفضّل يوسف وأخا له عليهم على الرّغم من أنّ كفّة الكثرة ترجّح لهم، فهم عصبةٌ مقابل فردين. وبعد إجماعهم على هذه الملاحظة الأكيدة من طرفهم، انتقلوا إلى صلب الخطاب الكيديّ المتعلّق بطريقة التخلّص من يوسف بغية التّفرّد بأبيهم.

انتقل الإخوة بعد التّفاوض على طريقة التّخلص من يوسف (عليه السّلام) إلى الشّروع في تنفيذ الخطّة النّاتجة عن الخطاب الكيديّ الّذي كان بينهم، والبداية كانت بإقناع أبيهم بإرسال يوسف برفقتهم. وتبادلوا مع أبيهم في هذا الحوار مواضع الإرسال والاستقبال للخطاب كما يظهر في الشّكل الآتي:

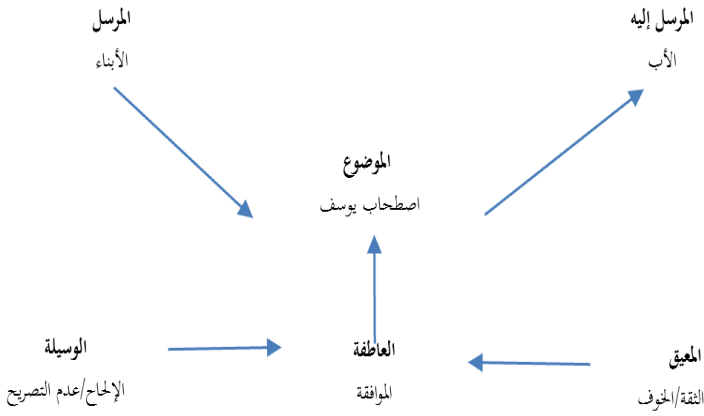


**الشّكل 2: مخطّط يوضّح سير الخطاب الإقناعيّ بين إخوة يوسف وأبيهم وبداية تنفيذ المخطّط الكيديّ**

بادر الإخوة بإرسال الخطاب في الحوار الّذي يهدفون من خلاله إلى تحصيل الإذن من أبيهم بمرافقة يوسف لهم، وبعد تلقّي الأب لهذا الخطاب بلّغهم بتحفّظه على طلبهم، ليردّوا على التّحفظ بالطّمأنة وإعطاء الأمان في سبيل تحقيق الهدف الأوليّ المباشر وهو إرسال يوسف معهم، والّذي يستلزمه بالضّرورة تحقيق الهدف المضمر في أنفسهم وهو التّخلص منه.

نفّذ الإخوة مخطّطهم الكيديّ بعد نجاح خطابهم الإقناعيّ الّذي تعاوروا أطرافه مع أبيهم، ليتمّ بعد ذلك فتح حوارٍ آخر معه عقب تخلّصهم من أخيهم، وهنا حضّر الإخوة مشهدًا تمثيليًّا ابتدأوه بالبكاء وسارعوا إلى ذكر سببه وهو أكل الذّئب ليوسف، مع إرفاقه بدليلٍ كّذِب وهو الدّم على قميصه. وبعد تلقّي يعقوب (عليه السّلام) لخطابهم يرسل لهم خطابًا رافضًا للتّبرئة،ومُثْبِتًا لتهمة التّآمر، لينقطع سير التّواصل بينهم عند هذا الخطاب الخاتم لمرحلة طفولة يوسف في كنف أبيه في القصّة.

### 2.2 مسارات الحوار في مرحلة العبوديّة والابتلاء بالمحن

مهّد السّرد القرآني للمرحلة الثّانية من قصّة يوسف (عليه السّلام) وهي مرحلة العبوديّة والابتلاء بالمحن بعثور السّيّارة على يوسف والتقاطهم له من البئر. وتصف حوارات القصّة في تلك المرحلة الأنظمة السّياسيّة المعمول بها والتوجّه الاقتصادي، كما تعبّر عن بعض المظاهر الاجتماعيّة الّتي كانت سائدةً في مصر كالتّرف والنّظام الاجتماعيّ القائم على الرّق والعبوديّة، إلى درجة أنّ فرحة وارد البئر كانت عظيمةً بالعثور على يوسف، ليس عطفًا عليه لكونه طفلاً صغيرًا وإنّما لكونه مجرّد بضاعة يُحَصِّلُ من ورائها ثمنًا ولو زهيدًا مثلما حصل.

يكشف السّرد القرآني – بعد عرضه التقاط السّيّارة ليوسف من البئر– عن صفقة بيع يوسف بثمنٍ بخسٍ، ليشير بعد ذلك إلى الحوار الّذي جرى بين العزيز وامرأته والمتعلّق بطرق الاستفادة من رعاية يوسف(عليه السّلام).

فالعزيز وجّه خطابًا لامرأته يأمرها فيه بإكرام مثوى يوسف ليصرّح بعد ذلك بما يأمل تحقّقه من رعاية هذا الطّفل، وهما أمران: الخدمة المادّية بنفعهما من خلال قضاء حوائجهما، أو الخدمة المعنوية بأن يكون لهما ابنًا يُشْعِرُهُما بعاطفتي الأمومة والأبوّة.

وبعد عرض الأجزاء الأولى لمرحلة العبودية الّتي مرّ بها يوسف (عليه السّلام) من التقاطٍ وبيعٍ وشراءٍ طوى السّرد القرآني تفاصيل النّشأة في بيت عزيز مصر، وأشار فقط إلى آثارها على يوسف (عليه السّلام) وهي بلوغ الأشدّ وإتيان الحكم والعلم. ليعلن بعد ذلك عن انطلاق المحن في حياة يوسف (عليه السّلام)، وكانت البداية بالابتلاء العاطفي الّذي تعرّض له من طرف امرأة العزيز، حيث كانت امرأة العزيز المبادر والمرسِل الأوّل للخطاب، وبعد تلقّي يوسف (عليه السّلام) لهذا الخطاب ردّ عليه بخطاب الامتناع عن الامتثال للطّلب المرسل من طرف امرأة العزيز.

وأعقبَ مشهدَ المراودة والامتناع مشهدُ المواجهة مع العزيز، حين بادرت امرأته بإرسال خطاب الافتراء، ليأخذ يوسف (عليه السّلام) دور المرسل الثّاني بإرساله خطاب نقض الافتراء، ثمّ تدخّل مرسلٌ ثالثٌ لخطاب الشّهادة الدّاعم لخطاب يوسف بنقض الافتراء. وكان العزيز لجميع هذه الخطابات متلقّيا، ولم يرسل الخطاب المتضمّن حكمه إلّا بعد تلقّيها جميعا، ثمّ بنى حكمه بعد الاحتكام لخطاب الشّاهد؛ وذلك بإنصاف يوسف و القضاء بنقض خطاب الافتراء المرسل من طرف امرأته.

لم ينته الابتلاء العاطفيّ ليوسف بالحكم الّذي أصدره العزيز، إذ يعرض السّرد القرآني مشهدًا آخر في ذلك السّياق تغيّرت فيه أطراف الخطاب، حيث تدخّل طرفٌ جديدٌ وهنّ النّسوة اللّاتي أقمن مجلس غيبة عن امرأة العزيز إذ كُنَّ فيه طرف الإرسال وطرف التّلقّي في الخطاب المباشر، في حين كنَّ طرف الإرسال وامرأة العزيز طرف التّلقّي في الخطاب غير المباشر من نفس الحوار، ذلك أنّ امرأة العزيز لم تكن حاضرةً حضورًا عينيًا في مجلسهنّ لتتلقّى الخطاب، وإنّما نُقِلَ إليها من طرفٍ لم يحدِّد السّرد القرآني هويّته.

وبعد أن بلغ امرأة العزيز تغامز نسوة في المدينة عليها قامت بدعوتهنّ لتجعلهنّ يُعَايِشْنَ ما عايشته من افْتِتَانٍ بيوسف (عليه السّلام)، فتسلمَ ممّا يرمينها به، وتقيم عليهنّ الحجّة من خلال حوار تعدّدت فيه أقطاب الإرسال والاستقبال بين امرأة العزيز والنّسوة ويوسف (عليه السّلام) كما يظهره المخطّط الآتي:

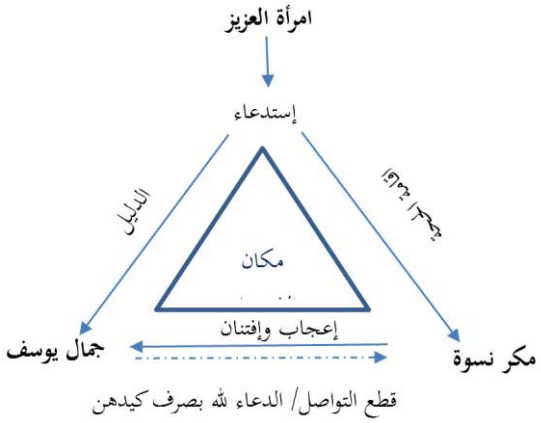


**الشّكل 3: مخطّط يوضّح سير الحوار بين امرأة العزيز والنّسوة ويوسف(عليه السّلام)**

افتتحت امرأة العزيز الحوار الّذي ضمّه هذا المقطع القصصي بأمرِ يوسف بالخروج على النّسوة، وبعد تلقّي يوسف للأمر وامتثاله له أخذ النّسوة طرف الإرسال ليُعبّرن عن انبهارهنَّ ممّا رَأَيْنَ قولاً وفعلاً، وبعد تلقّي امرأة العزيز لردود أفعالهنّ أرسلت خطابًا تقيم فيه الحجّة عليهنّ وتصرّح بفعل مراودتها ليوسف وترسل خطابًا تهدّده فيه بالسّجن في حال امتناعه عن الاستجابة لها، والغالب أنّ إرسال امرأة العزيز للتّهديد على مسمعٍ من النّسوة كان مقصودًا بأن يَكُنَّ لها عونًا على يوسف، فيَحُثَّنَّهُ على تلبية طلبها. إلّا أنّ يوسف قطع التّواصل معها ومعهنَّ وتوجّه برسالته إلى المولى عزّ وجلّ يدعوه فيها بأن يصرِفَ عنه كيدهُنَّ ويعصمه عن الوقوع في شَرَكِهِنَّ ويكفيه شَرَّهُنَّ.

ومن الابتلاء العاطفي ينتقل يوسف إلى الابتلاء بسلب الحرّية من خلال الزّجّ به في السّجن على الرّغم من ثبوت براءته. وفي السّجن انعقد حوارٌ بينه وبين سجينين آخرين، إذ بادر الفتيان السّجينان بالخطاب سائلَيْنِ يوسف (عليه السّلام) تأويل رؤيتيهما، وبعد تلقّيه الخطاب ردّ عليهما برسالة تضمّنت عنصرين: العنصر الأوّل خصّ الدّعوة إلى توحيد الله تعالى والعنصر الثّاني خصّ تأويل الرُّؤيَتَيْن، واختتم الرّسالة بتوصية السّجين الّذي اعتقد بأنّه ناجٍ بذكره عند الملك لعلّه يعجّل بالإفراج عنه.

نسي السّجين النّاجي ذكر يوسف عند الملك، فطالت فترة ابتلائه بالسّجن، حتّى كانت رؤيا الملك سببًا قَرَّبَ انفراجَ الأزمة عنه، والبداية من الحوار الذي دار في البلاط الملكي؛ حيث كان الملك المرسلَ الأول للخطاب في هذا الحوار حين استفتى عن رؤياه، لكنَّ الملأ بعد تلقّيهم لخطابه صرّحوا بعجزهم عن تأويل الرّؤيا، وردّوا عليه بأنّها مجرّد أضغاث أحلامٍ، ليتدخّل طرفٌ ثالثٌ وهو السّجين النّاجي فيرسل خطابًا يطلب فيه من الملك تسخيره للإتيان بتأويل الرّؤيا.

نقل السّرد القرآني الحوار من البلاط الملكيّ إلى السّجن أين اجتمع رسول الملك بيوسف (عليه السّلام)، فباشر رسول الملك سرد الرّؤيا على يوسف (عليه السّلام) طالبًا تأويلها، ليردّ عليه يوسف مباشرةً بتلبية طلبه ومنحه التّأويل مع التّوجيه إلى الطّريق الأمثل الواجب سلوكه للنّجاة من الأزمة الّتي أشارت إليها رؤيا الملك.

طوى السّرد القرآنيّ مشهد نقل تأويل الرّؤيا للملك، وعرض المشهد الأخير من محنة السّجن عبر حوارٍ تعدَّدت أقطاب الإرسال والاستقبال فيه على الشّكل الآتي:

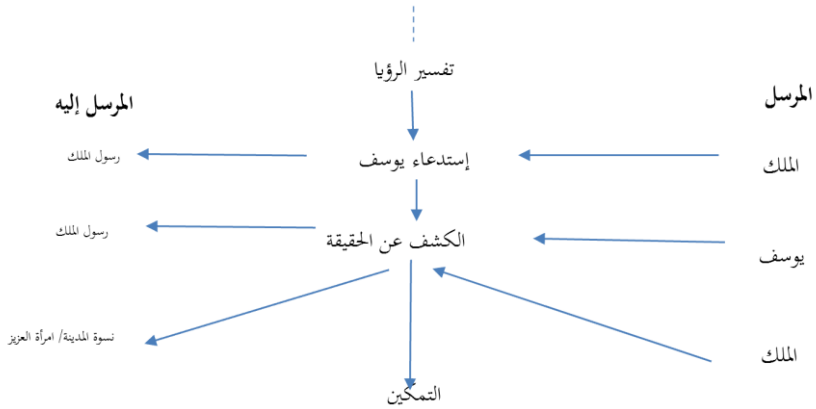


**الشّكل 4: مخطّط يوضّح مسار حوار المشهد الأخير من محنة السجن**

بعد تلقّي الملك لتأويل رؤياه أصدر أمرًا بإحضار يوسف إليه، وبعد تبليغ يوسف بأمر الملك لم يمتثل مباشرةً للأمر، ووضع شرطًا للامتثال وهو التّحرّي عن الكيد الّذي زُجَّ بسببه في السّجن. ونتج عن تلقّي الملك لشرط يوسف (عليه السّلام) سؤاله النّسوة عن مراودتهنّ يوسف عن نفسه، فنزّهن يوسف عن فعل السّوء واعترفت امرأة العزيز باقترافها الجرم وبراءة يوسف. بعد ذلك أرسل الملك خطابًا كرّر فيه طلب الإتيان بيوسف إنصافًا له ورفعًا لشأنه. وبعد امتثال يوسف (عليه السّلام) لأمر الملك وجّه له الملك خطاب التّمكين، ليعرض عليه يوسف بعد ذلك طريق ردّ الاعتبار له بأن يجعله الملك على خزائن الأرض جزاءً وثقةً في صدقه وأمانته.

### 3.2 مسارات الحوار في مرحلة التّمكين:

عرض السّرد القرآني مرحلة التّمكين ليوسف (عليه السّلام)بدءًا من لقائه بإخوته، حيث اجتمع بهم في حال غير الحال الّتي فارقهم عليها، فعرفهم هو أمّ هم فلا. وحينها بادرهم بالخطاب في الحوار الّذي انعقد بينه وبينهم وبينه وبين فتيانه في المشهد الأوّل من مرحلة التّمكين، وأوّل ما ابتدأ به الحوار الأوّل من هذه المرحلة أن طلب يوسف من إخوته الإتيان بأخٍ لهم، وأرفق هذا الطّلب بذكر عاقبة عدم الامتثال للأمر، ليبدي الإخوة استعدادهم ووعدهم بتنفيذ الطّلب. غير أنّ يوسف (عليه السّلام) وعلى الرّغم من تلقّيه

لردّهم الّذي وافق طلبه إلّا أنّه لم يطمئن لتحقّقه من طرفهم ممّا استدعاه لتوجيه خطابٍ ثانٍ لفتيانه طلب فيه منهم ردّ بضاعة إخوته وجعلها في رحالهم عساها تكون ضمانًا لعودتهم.

وبعد عودة الإخوة إلى أبيهم فتحوا معه حوارًا، أعادوا فيه فتح جراحه القديمة، ووضعوه من خلاله أمام امتحان ثانٍ بعد امتحان يوسف (عليه السّلام)، فيعيد الخطاب القرآني سيناريو الحوار الّذي حدث بين الأب يعقوب وأبنائه حين طلبوا منه مرافقة يوسف لهم، فأرسل الإخوة خطابًا لأبيهم شكوا فيه منعهم من الكيل، وطلبوا إذنه لأخ يوسف بمرافقتهم حين الاكتيال، واختتموا الطّلب بالوعد بأنّهم لأخيهم لحافظون. فعاجلهم ردّ يعقوب بالرّفض موحيًا بعدم استئمانهم على أخيهم. ويستمرّ الخطاب الحواريّ بين يعقوب وأبنائه بعد اطّلاعهم على متاعهم ووقوفهم على ردّ بضاعتهم، فأخبروا أباهم بالوضع وكرّروا طلب إرسال الأخ معهم ليزدادوا كيل بعير في محاولة لإقناعه، لكنّ يعقوب (عليه السّلام) صرّح برفض الطّلب مرّةً أخرى إلّا إذا تحقّق شرطه وهو إتيان موثق العودة بالأخ. وبعد إتيان الموثق لبّى يعقوب (عليه السّلام) طلب أبنائه مع توجيههم إلى سبيل حفظهم من المكاره .

بعد ذلك؛ انتقل السّرد القرآني إلى حوارٍ ثالثٍ من حوارات مرحلة التّمكين، حين سحب يوسف (عليه السّلام) أخاه (بنيامين) إلى جانبه في خطاب طمأنةٍ.ثمّ شرع يوسف (عليه السّلام) بعد ضمّه لأخيه إلى كنفه في تنفيذ خطّة تمكّنه من استبقائه إلى جانبه. فكان أوّل خطابٍ مُرْسَلٍ في هذا الحوار من طرف المؤذّن يتّهم فيه العير بالسّرقة، فتساءل الإخوة عن الغرض المسروق، لتتمّ إجابتهم بأنّه صواع الملك ولمن أتى به حِمل بعير. ردّ الإخوة مُقْسِمِينَ بأنّهم ليسوا سارقين. وبعد تلقّي المؤذّن للرّسالة الّتي ينفون فيها الفساد عن أنفسهم،ومنه فعل السّرقة تحديدًا، أرسل لهم رسالةً يشير لهم فيها إلى العواقب المترتّبة عن الكذب، فصرّحوا بقبول أيّ جزاء؛ ليقينهم ببراءتهم.

استمرّ سير خطّة استبقاء الأخ إلى جانب يوسف (عليه السّلام) باستخراج صواع الملك من متاع أخيه، فبادر الإخوة بإرسال خطاب أعلنوا فيه تبرّأهم من أخيهم الّذي وُجِدَ صواع الملك في متاعه، ولم يفوّتوا الفرصة لذكر يوسف بسوء؛ حين صرّحوا بأنّ سرقة أخيهم ما هي إلّا ميراث من أخ له من قبل. وعلى الرّغم من إخفاء يوسف (عليه السّلام) لتأثّره من قولهم إلا أنّه لم يفته إقرار حقيقة أنّهم شرّ مكانًا عند الله بسبب افترائهم على أخويهما. ولا ينقطع الحوار بإقرار يوسف (عليه السّلام) بإثمهم، إذ يمدّه الإخوة بخطابٍ يعرضون فيه مقايضة الأخ المتّهم بأخٍ آخر؛ لعلمهم بالأذيّة الّتي ستلحق أباهم إن هم عادوا دون أخيهم، وقد أعطوا موثقًا بحفظه وإعادته معهم. لكنّ يوسف (عليه السّلام)ردّ على خطاب المقايضة بخطابٍ حازمٍ مؤدّاه أعلن فيه رفض مطلبهم، عدلًا لا ظلمًا،إذ لا يؤخذ البريء بجرم من أذنب.

انتقل السّرد القرآني بعد عرضه مراحل استبقاء بنيامين إلى جانب أخيه يوسف إلى عرض الحوار الّذي دار بين الإخوة بعد وقوعهم في ورطة فقدان أخيهم المستَأْمَنِين عليه من طرف أبيهم. وبادر كبيرهم بخطاب يعاتب من خلاله إخوته على يأسهم من تخليص بنيامين وبالتّالي الإخلال بالوعد الّذي قطعوه لأبيهم، ومن ثمّة التّسبب في أذيّته بالفقد مرّة ثّانية بعد فقد يوسف. وتستمرّ رسالة كبيرهم بعد العتاب على ما سلف، بإعلامهم عن قراره بالمكوث في منفى اختياريّ إلى أن يأذن له أبوه بالعودة، أو يسير إلى قدرٍ آخر أراده الله له. وبعد العتاب والإبلاغ بالقرار يتوجّه الأخ إلى إخوته ناصحًا بأن يرجعوا إلى أبيهم ويُصْدِقُوهُ القول فيما حلّ بهم.

طوى السّرد القرآني الخطاب الّذي توجّه به الإخوة إلى أبيهم بعد عودتهم، في إشارةٍ إلى التزامهم بالنّقل الحرفي لوصيّة كبيرهم. وذكر مباشرةً رسالة ردّ أبيهم الّذي أكّد فيه قصديّة فعلهم مع المواساة بالصّبر في انتظار الفرج. أعقبه خطاب الأسف على يوسف مشكّلا من خلاله حوارًا ذاتيًّا كان فيه المرسِل والمرسَل إليه في الوقت نفسه، وبعد وقوف الإخوة على حسرة أبيهم العميقة على يوسف عبّروا له عن إشفاقهم على حاله، فردّ عليهم بأنّ الشّكوى لله ولا حاجة له لشفقتهم، وطلب منهم في رسالته بأن يَتَحرّوا مكان أَخَوَيْهِما دون يأسٍ.

انتقل السّرد القرآني مباشرةً بعد هذا المشهد إلى عرض الحوار الّذي دار بين الإخوة والعزيز يوسف في رحلتهم الّتي خصّصت للبحث عن يوسف وبنيامين، واستفتح الإخوة الحوار برسالةٍ وجّهوها إلى العزيز يشكون إليه فيها حالهم المزري وحاجتهم الشّديدة، وطلبوا

منه إيفاءهم الكيل والتّصدق عليهم. وهنا تجاوز العزيز رسالتهم هذه ليسألهم عن وعيهم بما ألحقوه بيوسف وأخيه، وكان ذلك سببًا لأن يُساوِرَهُم الشّك مباشرة بأنّ محدّثهم هو يوسف بعينه، فصرّحوا بها ولم يكتموها في أنفسهم حين خاطبوا يوسف خطاب شكّ خالطه يقينٌ بأنّه يوسف. ولم يتأخّر عنهم يوسف في الرّد،حيث أزال شكّهم بالخبر اليقين من خلال التّصريح بأنّه يوسف،حينها أعلن الإخوة حُظْوَةَ يوسف عند الله (عزّ وجلّ) وصرّحوا بخطئهم، لكنّ أخاهم يوسف تجاوز عنه وعفا عنهم، وزاد على ذلك أن وجّههم مباشرةً إلى ما يردّون به بصر أبيهم، طالبا منهم الإتيان بأهلهم جميعًا لَمًّا للشّمل.

استجاب الإخوة لمطلب أخيهم يوسف، فعادوا إلى أبيهم الّذي بادرهم بالقول إنّه "ليجد ريح يوسف" غير أنهم ردّوا عليه بنفي شعوره. وبعد إلقائهم قميص يوسف على وجه أبيهم وارْتِدَادَهُ بصيرًا وجّه لهم خطابًا يبطل نفيهم ويؤكّد حقيقة ما شعر به، ليقرّوا بين يديه بخطئهم ملتمسين منه الاستغفار لهم، فما كان من الأب إلّا قطع الوعد باستغفار ربّه لبنيه.

وقد عرض السرد القرآني آخر حوارٍ في قصّة يوسف (عليه السّلام) اختتمت به مرحلة التّمكين، حين وصف وقائع اللّقاء، ويلخّص الشّكل التّالي مسار الخطابات الّتي جرت فيه:

**الشّكل 5: مخطّط يوضّح مسار حوار اللقاء**

كان يوسف (عليه السّلام) المرسل الوحيد للخطابات الثّلاث الّتي ضمّها هذا الحوار؛ حيث أرسل الخطاب الأوّل لإخوته وجّه لهم من خلاله أمرًا بدخول مصر مع منحهم الأمان، وأرسل الخطاب الثّاني لأبيه يشهده على تحقُّق الرّؤيا الّتي قصّها عليه بسجودهم له، ويخبره عن انفراج الأزمة، بعد استحكام الشّدة، بفضل الله (عزّ وجلّ) عليه حين أخرجه من السّجن، ولمّ شمله مع عائلته بعد أن نزغ الشّيطان بينه وبين إخوته. أمّا الخطاب الثّالث فقد وجّهه يوسف (عليه السّلام) لله (عزّ وجلّ) حيث ذكر فيه فضل الله عليه داعيًا إيّاه بأن يتوفّاه مسلمًا ويلحقه بالصّالحين.

وما نخلص إليه هو أنّ قصّة يوسف (عليه السّلام) وعلى الرّغم من كونها قصّةً مغلقةً، إلا أنّها كانت قصّةً غنيّةً بالمشاهد حافلةً بالحوار الّذي توزّع على المراحل الحياتيّة المختلفة ليوسف (عليه السّلام)، حيث تعدّدت أطرافه على ثلاثة أشكالٍ: حوارٌ أحاديُّ القطب؛ وكان ذلك في موضعٍ واحدٍ حين تأسّف يعقوب (عليه السّلام) بينه وبين نفسه على ابنه يوسف. وحوار ثنائيُّ القطب؛ وجاء في عدّة مواضع، منها: الحوار بين يوسف وأبيه، والحوار بين العزيز وامرأته، والحوار بين امرأة العزيز ويوسف، والحوار بين يوسف وأخيه.أمّا الحوار متعدّد الأقطاب فظهر في الحوار بين الإخوة، والحوار بين الإخوة وأبيهم، والحوار بين الإخوة ويوسف، والحوار بين يوسف والسّجينين، والحوار بين العزيز وامرأته ويوسف والشّاهد... وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أنّ مسارات تلك الحوارات قد اقتصرت حينا على الإرسال والاستقبال فقط،بينما استدعى السياق أحيانًا أخرى تداول المتخاطبين على الإرسال والاستقبال (إرسال، استقبال، إرسال، استقبال ....) حتّى تحقّق الغرض من الخطاب.

### 3. مسالك التّصريح في الخطاب

ينبني الفعل التّواصلي على استراتيجيّاتٍ مختلفةٍ بما يتوافق والسّياق ويُحقّق مقاصد الإرسال، ومن بين هذه الاستراتيجيّات، نذكر: الاستراتيجيّة التّصريحية الّتي يعتمدها المرسل لإيصال المعنى المباشر في الخطاب، ويمثّل هذا الطّريق «المستوى الإخباريّ للّغة، وهو الّذي لا يحتمل التّأويل ويكون المعنى في ظاهر اللّفظ، لأنّ المراد منه إيصال الفكرة والاستجابة لها حال النّطق بها» (الدوري، 2015. ص: 30، 31)من طرف المرسِل الّذي ينشئ خطابًا تصريحيًّا. ففي الخطاب التّصريحيّ نجد «أنّ المقاصد متجلّيةٌ في العبارة، يمكن لجهد تأويليٍّ بسيط استخلاصها وتصريفها في الفعل التّخاطبيّ» (صوضان، 2023. ص: 20، 21)، وهو الجهد الّذي يضطلع به الطّرف المتلقّي للخطاب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المباشرة في الخطاب التّصريحيّ لا تقلّل من قيمته التّواصلية مقارنةً بالخطابات الأخرى، فالمرسِل لا يسلك التّصريح إلّا إذا استدعى السّياق ذلك وتطلّبته المقاصد. و"الخطاب القرآنيّ" من الخطابات الّتي اقتضت منها الضّرورة سلوك مسالك التّصريح في مواضع عدّة؛حتّى أنّه وُصِفَ بـ "الإبانة"، كما في قول الله تعالى في مطلع سورة يوسف: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾(سورة يوسف. الآية: 1)؛ووصف كتاب الله العزيز – وتحديدًا آيات هذه السّورة الكريمة – بالمبين يشير إلى وضوح الخطاب لتَيْسِيرِ تلقّيه، وذلك ممّا ذهب إليه الزمخشري في تفسيره، حين قال عن الآيات بأنّها: «الواضحة الّتي لا تَشْتَبِهُ على العرب معانيها لنزولها بألسنتهم»(الزمخشري، 2008. ص: 325)، ويدعم تفسيرَه هذا قولُ الله عزّ وجلّ في الآية الموالية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(سورة يوسف. الآية: 2)، فنزول القرآن الكريم – ومنه سورة يوسف – بلسان عربيٍّ مبين كان بغرض الإعجاز وإقامة الحجّة على من أَنْكَرَ وجحد، ونستشفّ ذلك تحديدًا من قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي «رجاء حصول العلم لكم من لفظه ومعناه لأنّكم عرب، فنزوله بلغتكم مشتمِلًا على ما فيه نفعكم هو سببٌ لعَقْلِكُم ما يحتوي عليه»(ابن عاشور، 1984. ص: 202).ممّا يسمح بالقول إنّ من شروط تحقيق التّواصل الفعّال وتبليغ مقاصد أيّ خطابٍ أن تكون الرّسالة الّتي يبثّها منشؤُها بلغة متلقّيها. وإذا كان دور المرسِل في الخطاب هو التّبليغ فإنّ دور المرسَل إليه هو التّفكيك وتفعيل آليات التّأويل، على الرّغم من أنّ تفعيل هذه الآليات يكون بدرجة أقلّ في تلقّي الخطاب التّصريحيّ مقارنة بالخطاب التّلميحيّ.

ومن الأشكال التّعبيرية الّتي سلكت مسالك التّصريح في الخطاب القرآنيّ نجد "الحوار" في القصّة القرآنيّة، ومنها قصّة يوسف (عليه السّلام) مثالاً، والّتي حَفِلَت بالحوار المتّسِم بالوضوح والمباشرة في بعض السّياقات بغية تحقيق التّواصل الفعّال بين أطراف الخطاب.

تجلّى الخطاب التّصريحيّ في الحوار القرآنيّ الّذي تضمّنته قصّة يوسف (عليه السّلام) من خلال آلياتٍ مختلفةٍ، منها "الخبر الحقيقيّ" كما ظهر في قصّ يوسف (عليه السّلام) لرؤياه على أبيه حين قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (سورة يوسف. الآية: 4)؛ فهنا نقل يوسف (عليه السّلام)الرّؤيا لأبيه نقلًا مباشرًا عن طريق الإخبار، الّذي جاء غرضه هنا أصليًّا باسم "فائدة الخبر"، لأنّ المتلقّي جاء خالي الذّهن من الخبر المُلْقَى إليه. والخبر طريقٌ مباشرٌ لتبليغ المقاصد الّتي تنقلها المعاني الحرفيّة للملفوظ(ينظر، الدوري، 2015. ص: 33)الّذي يُعَدُّ بذلك ملفوظًا صريحًا، «أي الإنجاز الّذي يكون فيه قصد المتكلم مساويًا للمعنى الحرفيّ لملفوظه»(الزّهير، 2019. ص: 184). كذلك كان إخبار يوسف (عليه السّلام)أباه عن الرّؤيا إنجازًا تساوى فيه قصده مع المعاني الحرفيّة للملفوظات الّتي نقل من خلالها هذا الفعل الكلاميّ الّذي لم يتجاوز الإخبار إلى أفعالٍ كلاميّةٍ تحيل على مقاصد أخرى.

ومن آليات التّصريح في الخطاب "الإنشاء الطلبي" الّذي يبتعد عن الدّلالة المجازية، ليعتمد في تبليغ المقاصد على المعنى الحرفيّ لظاهر اللّفظ، ومنه "النّهي" كما وظّفه يعقوب (عليه السّلام) في الرّد على ابنه حين سمع منه الرّؤيا، حيث نهاه عن قصّ الرؤيا على إخوته في قوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ (سورة يوسف. الآية: 5)، فنهي يعقوب (عليه السّلام) هنا نهي حرفيٌّ صريحٌ مُلْزِمٌ

بالامتثال لما دلَّ عليه ظاهر اللّفظ. وقد استمدّ النّهي عن القصّ إلزاميّته من السّلطة الأبويّة، لأنّ سلطة الأب في النّهي عن إتيان الفعل تُوجِبُ على الابن الامتثال للنّهي والامتناع عن فعل المنهيّ عنه.

أتبع يعقوب (عليه السّلام) خطاب النّهي الصّريح بخطابين خبريّين حقيقيّين لم يخرجا عن المعنى الحرفيّ للملفوظ. وكان توظيف الخبرين في سياق التّأكيد على يوسف (عليه السّلام) بالامتناع عن فعل المنهيّ عنه؛ فجاء خبر ﴿يَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (سورة يوسف. الآية: 5)عرضًا للنّتيجة المترتّبة عن عدم الامتثال للنّهي،وجاء خبر ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(سورة يوسف. الآية: 5)تعليلًا للنّهي على سبيل الإقناع لضمان امتثال الابن امتثالًا فعليًّا للطّلب.

ومن خطابات النّهي الصّريحة الّتي ألزمت فيها سلطة النّاهي المنهيَّ عن إتيان فعلٍ معيّن، نهي يعقوب (عليه السّلام) بَنِيهِ عن الدّخول من بابٍ واحدٍ في قول الله تعالى: ﴿يا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾(سورة يوسف. الآية: 67). فـ "لا تدخلوا" فعلٌ لغويٌّ مباشرٌ أعقبه فعلٌ لغويٌّ آخر هو الأمر بالدّخول، وقد صرّح به يعقوب (عليه السّلام) في خطاب الأمر الّذي تلا خطاب النّهي في قوله تعالى: ﴿وادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾(سورة يوسف. الآية: 67). وكانت نتيجة التّلقي لهذين الفعلين اللّغويين الصّادرين عن يعقوب (عليه السّلام) التّنفيذ الفعليّ لهما من طرف الأبناء عبر الانتهاء عمّا نهوا عنه وفعلهم المأمور به، بدليل قول الله عز وجل بعد ذلك: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾(سورة يوسف: الآية 68).

وتجدر الإشارة إلى أنّ سلطة المرسِل ليست المساهم الوحيد في تشكيل الخطاب التّصريحيّ. فالسّياق أيضًا يؤهّل مرسِل الخطاب – وإن كان منعدم السّلطة– لإنشاء خطابٍ تصريحيٍّ، مثل ردّ يوسف (عليه السّلام) على أمر الملك بالإتيان به حين قال للرّسول:﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(سورة يوسف. الآية: 50)، فيوسف (عليه السّلام) لم يمتثل مباشرةً لأمر الملك، واستغلّ سياق امتنان الملك منه في تفسيره للحلم ليستمدّ جرأة عدم الإقبال عليه، ويزيد على ذلك بأن أرسل للملك خطابًا يدعوه فيه إلى إعادة التّحري في أمر سجنه من خلال سؤاله عن أمر النّسوة اللّاتي قطّعن أيديهن. وبالفعل يستجيب الملك لطلب يوسف (عليه السّلام)فيتوجه مخاطبًا النّسوة؛ يسألهنّ عن حقيقة مراودتهنّ ليوسف.

وتعّد المعرفة المشتركة –وهي الرّصيد المشترك بين طرفي الخطاب– عنصرًا من عناصر السّياق المساهمة في تشكيل الخطاب التّصريحيّ، لأنّ «المعرفة المشتركة هي الأرضيّة الّتي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التّواصل؛ إذ ينطلق المرسِل من عناصرها السّياقية في إنتاج خطابه، كما يعوّل عليها المرسَل إليه في تأويله، وذلك حتى يتمكّنا من الإفهام والفهم، أو الإقناع والاقتناع»(الشّهري، 2004. ص: 49). وقد تمّ الوقوف على المعرفة المشتركة في مطلع الخطاب الكيديّ بين الإخوة المتعلّق بالتّخطيط للتّخلص من يوسف (عليه السّلام)، حيث ابْتُدِئَ هذا الخطاب بخبرين صرّح فيهما الإخوة بسبب انعقاد مجلس المؤامرة، فكان الخبر الأوّل عن حبّ يعقوب ليوسف وأخيه وتفضيلهما على إخوتهما، والخبر الثّاني الّذي هو نتيجة للخبر الأوّل كان عن ضلال يعقوب – في نظرهم– بسبب التّمييز بين الأبناء في الحبّ. فهذان الخبران ممّا أجمع عليه الإخوة، وعلّة إلقاء الخبرين على الرّغم من علمهم بهما لم تكن من باب الشّك في الخبر، وإنما كانت بغرض إذكاء الحقد على يوسف وأخيه، لأنّ الإخوة «لم يكونوا سواءً في الحسد لهما والغيرة من تفضيل أبيهم إيّاهما على بقيّتهم، فأراد بعضهم إقناع بعض بذلك ليتمالؤوا على الكيد ليوسف – عليه السّلام – وأخيه»(ابن عاشور، 1984. ص: 220)، وعليه فالخبران الصّريحان في ظاهرهما لم يتجاوزا التّعبير عن المعرفة المشتركة بين الإخوة. والدّليل على ذلك هو عدم تحديد المرسِل من المرسَل إليه بينهم في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(سورة يوسف. الآية 8).

وبناءً على ما سبق تمّ الوصول إلى نتيجةٍ مفادها أنّ التّصريح في الخطاب الوارد في قصّة يوسف (عليه السّلام)تجلّى عبر آليات مختلفة، منها الإخبار وأساليب الطلب التي لم تخرج عن معانيها الأصلية. والتّصريح ضرورةٌ فرضتها عدّة عوامل، منها: السّلطة؛ فامتلاك

المرسِل للسّلطة في الخطاب يمكّنه من إنشاء خطاباتٍ تصريحيّةٍ تبلّغ المقاصد للمرسَل إليه بطريقةٍ مباشرةٍ تيسّر التّلقي وتُلْزِمُ به. ومن العوامل كذلك السّياق الّذي يسمح للمرسِل بإنشاء خطاباتٍ تصريحيّة حتى وإن كان فاقدًا للسّلطة. وكذلك المعرفة المشتركة أيضًا فإنّها من العوامل الّتي تتيح للمرسِل مشاركة مقاصده بصورة جليّةٍ مع المرسَل إليه.

**4. مقتضيات التّلميح في الخطاب**

ليست المباشرة في الخطاب شرطًا دائمًا من شروط تحقّق التّواصل الفعّال، إذ هناك استثناءاتٌ تستدعي الانتقال من التّصريح إلى التّلميح في الخطاب، على الرّغم من وجود تشكيكٍ في مدى فاعليّة المحتويات المضمرة الّتي يحملها الخطاب التلميحيّ، حيث يُعْتَقَدُ بأنّها «"محتوياتٌ سائلةٌ" لا يمكن التّحكّم في تأويلها بفعاليّة؛ لأنّه بالإضافة إلى الرّكيزة اللّغوية الضّعيفة الّتي تدعمها، تحتاج إلى ركائز خارج لغويّة؛ قوانين خطابيّة ومقاميّة ومعرفيّة»(صوضان، 2023. ص: 21)إلّا أنّ هذه الحاجة لا تنتقص من فاعليّة التّواصل شيئًا لأنّ «الاستلزام التّخاطبيّ يؤدّي إلى تجاوز المألوف الّذي يعدّ أساس اشتغالية الإعلاميّة، فهو يحيل المتلقّي إلى عمليّة استنباط المعنى من الملفوظ، فلا يجعل المعنى جاهزًا للمتلقّي بل يستدعي الوصول إليه سلسلة من العمليّات الهرميّة وبذلك يحقق الجدّة في تقديم المعنى للمتلقّي»(البرقعاوي، 2018. ص: 243)، حتّى وإن كان تلقّي ذلك المعنى مضنيًا.

بيان هذا؛ أنّ الباحثين على خلافٍ في مدى تقبّلهم للمحتويات المضمَرَة في الخطاب،حيث «تمثّل المكوّنات غير الملفوظة، بالنّسبة للدّلالي، احتمالًا أو إمكانًا غير مرغوبٍ فيه بشكلٍ خاصٍّ، لأنّها تثير مشاكل بالنّسبة لأيّ مبدأ أو تعميمٍ صارمٍ من التّأليف الدّلالي، الّذي يهدف إلى توفير خوارزم لتأليف معنى أيّ جملةٍ من مكوّناتها الأساس وتأليفها. وتمثّل المكوّنات غير الملفوظة بالنّسبة للذّريعي، إبراز قوّة الذّريعيات في تأويل القول، ممّا يجعلها محدّدا مستقلّا للمعنى المعَبَّرِ عنه من طرف المرسِل بوضوحٍ، وليست مجرّد إضافةٍ اختياريّةٍ للتّفكيك اللّغوي»(بريسول، 2019. ص: 66). وعليه؛ فإنّ رفض المحتويات المضمرة من طرف الدّلالي لا يلغي ضرورتها بالنّسبة إلى الذّريعي– وهو نفسه التّداولي – وإنّما مناط المسألة في حدود كلّ درس وحاجته إليها.

والخطاب في قصّة يوسف (عليه السّلام) لم يلتزم التّصريح فقط، إذ تجاوزه إلى التّلميح في عدّة مواضع لدواعٍ سياقيّةٍ معيّنةٍ تحقيقًا لأقصى درجةٍ من الفاعليّة التّواصليّة الّتي لا تتمّ «إلّا بتحوّل الخطاب عن السّياق الإخباريّ "الإبلاغيّ" إلى السّياق البلاغيّ المتمثّل: بالعدول عن التّعبير المباشر في أداء المعنى إلى التّعبير القائم على التّأويل المتمثّل بالاستعارة والتّمثيل والكناية وسائر ضروب المجاز وبأنواعٍ مختلفةٍ من أساليب الكلام الّتي يُعْمَدُ فيها إلى طريق المعقول للوصول إلى المعنى الأوّل طريق اللّفظ المباشر»(الدوري، مطلوب، 2015. ص: 38)، ويبذل متلقّي الخطاب التّلميحيّ نتيجةً لذلك جهدًا تأويليًّا يفوق الجهد الّذي يبذله متلقّي الخطاب التّصريحيّ في بلوغ المقاصد.

ومن الخطابات التّلميحية الّتي تضمّنتها قصّة يوسف عليه السّلام ما ورد في ردّ أحد الإخوة على إخوته المتآمرين، حين أشار عليهم بأن لا يقتلوا يوسف وأن يلقوا به في قعر الجبّ، ليختتم تلك الإشارة بقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (سورة يوسف. الآية: 10)«وفيه تعريضٌ بزيادة التّريّث فيما أضمروه لعلّهم يرون الرّجوع عنه أولى من تنفيذه، ولذلك جاء في شرطه بحرف الشّرط وهو [إن] إيماءً إلى أنّه لا ينبغي الجزم به، فكأنّ هذا القائل أمثلُ الإخوة رأيًا وأقربهم إلى التّقوى» (ابن عاشور، 1984. ص: 226)، ناهيك عن إدراكه لعدم امتلاكه سلطة نهي إخوته عن القتل وأمْرِهم بالإلقاء في الجبّ بدلًا عن ذلك، فالمخاطِب راعى العلاقة التّخاطبيّة بينه وبين المتلقّين في توجيهه لهم إلى ما يجب فعله، كما راعى السّياق التّخاطبي؛ فالإخوة في سياق التّآمر على يوسف والكيد له، وإذا أظهر هذا الأخ تعاطفًا صريحًا مع يوسف، واختار طرفه على طرف الكائدين،فربّما ينقلب كيدهم إليه، وهذا ما يسمح بالقول إنّ الاستجابة للخوف كانت المسوّغ الذي دفع الأخ لتوظيف الاستراتيجيّة التّلميحيّة في قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾(سورة يوسف. الآية: 10).

والاقتصاد في الكلام، أو ما يصطلح عليه بالاقتصاد الأدائيّ أو اللّغويّ، شكلٌ من أشكال التّلميح في الخطاب، إذ «يقوم على إعطاء أكبر قدرٍ من المعلومات بأقلّ كمّيةٍ من المفردات»(البرقعاوي، 2018. ص: 243)،وهو ما تجلّى في ردّ يوسف (عليه السّلام)على امرأة العزيز كما جاء في كتاب الله: ﴿مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(سورة يوسف. الآية: 23). فيوسف (عليه السّلام) في قوله هذا لم يُطِلِ برفض العرض، إذ استعاذ بالله مما تدعوه إليه بالقول ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾فقط، ثمّ مرّ مباشرةً إلى ذكر الفضل حين قال ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾دون أن يسهب في الحديث عن صور الإحسان،وليختتم الردّقائلًا ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. وهذان الرّدان اللّذان تَلَيَا الاستعاذة بالله ما هما إلّا «تعليلٌ لامتناعه، وتعريضٌ بها في خيانة عهدها»(ابن عاشور، 1984. ص: 252)بما قلّ ودلّ. وكان الدّاعي الّذي دفع يوسف (عليه السّلام)إلى سلوك مسلك التّلميح عبر الاقتصاد الأدائيّ هو التّأدّب في الخطاب.

ومن الصّور الّتي جاء بها الخطاب التّلميحيّ في قصّة يوسف (عليه السّلام) "السّكوت"، فالسّكوت «باعتباره استراتيجيّةً من استراتيجيّات اشتغال اللّغة وطريقةً من طرق أداء المعنى؛ يكون له وجهه التّداولي كما يكون للكلام بعده التّداولي. فكما ننجز الأفعال بالكلام يمكن أن ننجزها بالسّكوت، وربما أمكننا أن نؤصّل فعل سكوتٍ مباشرٍ وآخر غير مباشرٍ، وكما نخرق بالكلام قوانين الخطاب نخرقها بالسّكوت، وكما يحمل الكلام مضمرات المعاني يحمل السّكوت مضمرات الخطاب»(الكندي، 2019. ص: 265)، وممّا تمّ الوقوف عليه في هذا الشّكل الخطابيّ ما جاء في ردّ النّسوة على سؤال الملك بشأن يوسف (عليه السّلام)﴿حَاشَ لِلهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ (سورة يوسف. الآية: 51)حيث «لم يزدن في الشّهادة على ما يتعلّق بسؤال الملك فلم يتعرّضن لإقرار امرأة العزيز في مجلسهنّ بأنّها راودته عن نفسه فاستعصم، خشيةً منها، أو مودّة لها، فاقتصرن على جواب ما سُئِلن عنه»(ابن عاشور، 1984. ص: 291)، وفي اقتصارهنّ ذاك سكوتٌ عن حقيقة ما عايشن في اللّقاء الّذي جمعهنّ بيوسف (عليه السّلام). وحقّق سكوتهنّ أثرًا أبلغَ من الكلام حين استرسلت امرأة العزيز بعدهنّ في الاعتراف بجرمها فقالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾(سورة يوسف. الآية: 51)، فأقرّت بالبراءة التّامة ليوسف(عليه السّلام) ممّا رُمِيَ به، وشَهِدَت للنّسوة بالبراءة، وأثبتت التّهمة على نفسها.

وختاما يمكن القول إنّه إذا كان التّصريح في الخطاب طريقًا مباشرًا انتهجه المتخاطبون في قصّة يوسف(عليه السّلام) لتبليغ المقاصد دون إعمال الذّهن، فإنّ تلميحهم في مواضع عدّة قد كان ضرورةً اقتضتها بعض العوامل، مثل: الاستجابة للخوف، والتأدّب في الخطاب. وتجلّى التّلميح فيما تمّ الوقوف عليه من نماذج من خلال آلياتٍ مختلفةٍ، منها: التّعريض، والاقتصاد الأدائيّ والسّكوت.

**5. خاتمة:**

إذا كان منشئ أيّ خطابٍ يرتكز على المقاصد ويحتكم إلى الظّروف المحيطة بالقول في تشكيل الاستراتيجيّة الأنسب للخطاب، فإنّ المحَاوِرَ في القصص القرآنيّ على ذلك أحرص، وهذا ما وقفنا عليه في قصّة يوسف (عليه السّلام)الّتي خلصنا في نتائجها إلى الآتي:

. انتظم الحوار في قصّة يوسف (عليه السّلام)عبر مساراتٍ مختلفةٍ تعدّدت فيه أطراف الإرسال والاستقبال وتداولت فيما بينها الخطاب، وقد تمّ الوقوف خلال ذلك على حواراتٍ تنوّعت بين أحاديّة القطب، وثنائيّة القطب، ومتعدّدة الأقطاب.

. أنتجت الأطراف المتحاورة في القصة خطابات تصريحية حينًا وتلميحية حينًا آخر،وذلك لضروراتٍ واقتضاءاتٍ مختلفةٍ.

. اختلفت الدّواعي إلى سلوك مسلك التّصريح بين: العلاقة السّلطوية، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وسياق الخطاب.

. تجلّى الخطاب التّصريحي في الحوار الّذي تضمّنته قصّة يوسف (عليه السّلام) من خلال الأخبار والأساليب الطّلبية الّتي لم تخرج عن معانيها الأصليّة.

. استدعى إنشاء الخطاب من طرف بعض المتخاطبين في بعض المواضع من القصّة الابتعاد عن التّصريح إلى التّلميح، لضروراتٍ مختلفةٍ، منها: الاستجابة للخوف، والتّأدب في الخطاب.

. تمظهر الخطاب التّلميحيّ في قصّة يوسف (عليه السّلام) في صور مختلفة، منها: التّعريض، والاقتصاد الأدائيّ، والسّكوت. وقد اقتضته سياقاتٌ خاصّةٌ لم يكن التّصريح فيها محقّقًا للغرض الخطابيّ.

**قائمة المراجع**


- **القرآن الكريم**

- **المؤلفات:**

- ابن عاشور، محمّد الطّاهر. (1984). **تفسير التّحرير والتّنوير**. تونس: الدّار التّونسيّة للنّشر.
- البرقعاوي، زهراء. (2018). **الإعلامية في الخطاب القرآني – دراسة في ضوء نظرية التّواصل**. الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- بريسول، أحمد. (2019). **المعنى الذريعي(تداولية المعنى في التراث اللغوي العربي – أسئلة التّأصيل وآفاق التحديث)**. الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- الخطيب، عبد الكريم.(1975).**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقيّة لقصّتي آدم ويوسف**. لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- الدّوري، رسول حمّود حسن، مطلوب، أحمد.(2015).**أسلوبية الحوار في القرآن الكريم**. الإمارات العربية المتّحدة: جائزة دبي الدّوليّة للقرآن الكريم – وحدة البحوث والدّراسات.
- الزّمخشري، محمود بن عمر.(2008). **الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**. لبنان: دار الكتاب العربي.
- الزهير، هيا راشد. (2019). **قوّة اللّفظ لقوّة المعنى في التّراث النّقديّ والبلاغيّ: مقاربة تداولية (تداولية المعنى في التراث اللغوي العربي – أسئلة التّأصيل وآفاق التحديث)**.الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- الشّهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). **استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية**. لبنان: دار الكتاب الجديد.
- صوضان، محمد. (2023). **المضمر وقيمه التّداولية في البلاغة العربيّة**. الأردن: ركاز للنّشر والتّوزيع.
- الكندي، محمود بن يحيى بن أحمد. (2019). **تداوليّة السّكوت (تداولية المعنى في التراث اللغوي العربي – أسئلة التّأصيل وآفاق التحديث)**.الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- النّحلاوي، عبد الرّحمن. (2010). **أصول التّربية الإسلاميّة في البيت والمدرسة والمجتمع**. سوريا: دار الفكر.

- **الأطروحات:**

- **نقرة، التّهامي**. (1971). **سيكولوجيّة القصّة في القرآن**. جامعة الجزائر، الجزائر.